الهيئة العامة
لقصور الثقافة

اقليم القاهرة الكبرى
ثقافة الفيوم

خمس بنات



هالة قرنى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القاهرة الكبرى
وشمال الصعيد الثقافى
فرع ثقافة الفيوم

خمس بنات

قصص

هالة قرنى

مدير التحرير

محمد عبد المعطى

مستشارو التحرير

د. محمد حسن عبد الله

د. مجدى توفيق

محمود العشيرى

تصميم الغلاف

هبه المعداوى

إهـــداء

إلى ملهمتى الوحيدة : أمى

إلى رفقاء حياتى القلقة

هـالـة

الشباك

(1)

يارباح يا هادى يا هادى عايزه أروح الحمام وحياة النبى محصورة. سقطت من فوق السرير، تكوّمت على البلاط، بدأت تستجمع كل قواها لتحريك فخذيها للزحف، استندت بيديها المعروقتين على الأرض، بدأت تجرّ قدميها، لفظت عينيها من الكشكشات المنتفخة حولهما، أرهقتهما تحريكا يمينا ويسارا، بدأت تفكر، هل تذهب إلى الحمام يسارا أم الى الشباك كى تطهر جسدها بالضوء وتحيى أذنيها بالضوضاء اللتين حرمتا منهما منذ عشر سنوات عمر مجيئها لهذا البيت.

(2)

– هنا كلنا بنخدمك أنا وأولادى ومراتى لكن هناك كنتى لوحدك.

– أنا هناك كنت قاعدة فى بيتى والجيران كلهم بيحبونى ويخدمونى، البت سهير بنت محمود كانت بتبيت معايا وبتطلب منى احكيلها عن جدك والعفاريت.

– يا أمى أنا معذور عليا شيكات للبنك لازم أسددها والا هتسجن.

– البركة فى مراتك بيعتك اللى وراك واللى قدامك ضيعت شقاك

سبع سنين فى الغربة واندارت على البيت اللى حيلتى .

- البيت مش محتاجينه... بيعيه علشان يسدد الشيكات ده هو الواد الحيلة علشان خاطره يا حماتى.

- علشان خاطره هابيع البيت واقعد هنا وأنا عارفة أخرتها.

صممت على الزحف الى الشباك، «أدينى كل يوم بأدخل الحمام.. حفظته لكن من عشر سنين مشفتش اللى بره من ساعة ما رحت انده على رباح من الشباك وأقولها إلبسى هدومك عيب ساعتها اتزحلقت وعجزت».

(3)

- أمك لازم توديها المستشفى، دى عضمة كبيرة محتاجة لعناية والا هتعجز طول عمرها.

ولادى مايبيتوش فى مستشفيات، حاجة تخوفهم، روح أنت اذا كنت خايف عليها.

- يعنى أسيب شغلى.

- سيبها وأنا هنا هاخدمها.

التصقت بطنها على الأرض من شدة الألم، ردفاها متآكلان من الجلوس فوق السرير، أصبح بهما نتوآت خالية من اللحم، تكور ظهرها، وانتشرت به البقع الحمراء، بدأت تمطه كى تحاول أن تصل

إلى ضلفة الشباك، تخشبت يداها على الشبكة الحديدية للشباك، اصطدمت عيناها باحتضان الضوء لهما لكن شيئا فشيئا صمدت أمامه، رأت الشارع لأول مرة، يكاد يكون فارغا إلا من حركة خفيفة وذلك لشدة الحرارة، قفزت كالطفلة من شدة السعادة لأول مرة تلفح خديها الميتين دخلت ببصرها كل البيوت المواجهة لها «ماشاء الله ده بيت حسنية النتافة كانت بتدور على البيوت تحفف للنسوان بريال، دلوقتى بيتها عمارة وبنتها لابسة ييجى نص كيلو دهب، اتجوزت الواد فتوح اللى كنا بنزعر عليه فى الحارة، اسكتى يابت ماتلعبيش مع ابنى، أصله كان زى البنات ف كل حاجة حتى التقصيع، ودول مين اللى فى الركن عريانين، دى البنت رباح بنت ابنى فى حضن ابن سمية العمشة مالقتش الا ده».

(4)

بت يا رباح تعالى هنا يا قليلة الأدب، طبعا مين اللى هيربيكى. أمك اللى مزقوقة فى كل بيت شوية، ولا أبوكى اللى فى السجن بسببها، إلبسى هدومك وإلا هانزل اقطم رقبتك.

تركت يديها بطريقة عفوية فسقطت على البلاط، كادت تغيب عن الوعى، بعد لحظة انتبهت على صوت تكرهه.

«إنتى دايما فضحانا فى الحتة، مين اللى خلاكى تبصى من

الشباك، انتى عايزه تطلّعى على بنتى سمعة وحشة، بناتك كلهم ماتوا وابنك فى السجن ماتروحى لهم بقى».

(5)

– حتى الكفن بعته يا سعد، طبعا مالقتش غيره بعد مابعت كل حاجة، البيت، العفش، العقد الدهب، أنا خايفة أموت متقدرش تكفنى، الكفن تبيعه؟!.

باعه علشان يعالجك، أنتى فاكره العلاج ببلاش؟!.

– أنا كنت هاروح الحمّام لقيت الشباك مفتوح قلت ابص أشوف الدنيا.

– احنا غلطنا لما سبنا الشباك مفتوح، يالا جُرَيها على السرير.

– أنا عايزه اروح الحمام.

– احنا كل شوية نوديكى، متشربيش كتير، سيبيها لحد ما يجى هادى يوديها.

جاهدت لكى تحبس البول، لكنها تبولت حتى أغرق البول أطراف جلبابها وغسل البلاط تحتها.

«ياه بعد اربع بنات خلفت الواد الحيلة، هاشرب بوله هاديله كل حاجة مش هأدى للبنات أى حاجة، ده هو اللى هايسندنى، نادونى يا ام سعد».

– يا رباح ... يا هادى... عايزه أروح الحمام وحياة النبى مبلولة.

الصرخة

(أ)

- بس احنا عندنا نفس الدوا ده.

ترك الدكتور القلم ثم رفع نظره إليها استغرب عندما رآها ترتدى ثوباً أسودا كالحاً تلف رأسها بطرحة سوداء بها بعض الفتق.

- عرفتى ازاى إن عندك زيه ؟

- كتر البكا يعلم النواح.

حفظت نظرة الدكتور ليه ومسكته للقلم وهو بيكرر نفس الحروف اللى كررها الدكتور اللى قبليه، حتى شوف.

أخرجت علب الدواء بعضها مملوء وبعضهانصف مملوء والباقى فارغ ازدادت دهشة الدكتور عندما وجدها فعلاً نفس الأنواع المكتوبة، نظر إليها مرة أخرى، رغم ضآلة جسدها إلا أن عينيها السوداوين بهما تحد زلزله فى جلسته طلب منها أن تأخذه وترجع إلى قريتها تقول عيناه لها : لا فائدة ، رفضت الرجوع.

- الراجل ده عمرى.. أبو أولادى.. احنا الاتنين مقطوعين من شجرة.

سالت دموع عينيها تترجاه تستحلفه بكل ما هو عزيز عليه أن يحجزه فى المستشفى... ربما

- أنا مستعدة أبيع البيت اللى أنا عايشه فيه وأعيش أنا وولادى

فى خيمة، بس هو يعيش.

- جهاز رسم القلب مابيثبتش على صدره... الحالة...

- أبوس إيدك يا دكتور..

وافق ولكن مازالت عيناه تقول لها : لا فائدة طلبت منه أن ترافقه فى المستشفى رفض «ده عنبر رجالى» ولكن سمح لها أن تبقى معه طيلة النهار لكن لابد أن ترحل ليلا، لم تقاوم لأن فى البيت سبعة وجوه تنتظرها إذا غابت لن يسأل عنهم أحد، تذكرت كيف ستواجه ابنتها الكبرى التى صمم أبوها أن يزوجها الأسبوع القادم وخصوصاً أنها مكتوب كتابها منذ خمس سنوات مشبعة بالمشاكل والأقساط وموت حماتها وأخيراً مرض أبيها منذ ثلاث سنوات.

(2)

«أنا جهزتلها كل حاجة وأكل يكفى البلد كلها وهتجيلها فرقة من المحافظة نفسها وانتى اعمليلها عشيان تكفيها أربعين يوم».

نبهها الكمسارى، أخرجت له التذكرة وهى شبه مغيبة، انصرف عنها غابت فى ذكرياتها مرة أخرى.

- لازم تروح للدكتور فى مصر.

- وإيه الفايدة وأنا عارف إنى هاموت.

- بعد الشر ، ده دكتور كان عايش فى أمريكا.

- بعد فرح البت.

- لأ قبله .

انتفضت أمسكت يده التى تعبث بثديها خلسة، التهمتها بفمها لم تشعر بصراخه الذى جمع كل وجوه الأتوبيس حولها صبت فيها غضبها وكرهها لهذا الوجه القبيح الذى كان يجلس بجوارها ويحاول أن يلتصق بها استمرت فى عضها حتى انتزعت قطعة منها بحجم فمها، تحجرت عيناها على الدم الذى يغطى فمها ويسيل من يده، صمم الكمسارى أن ينزلها من الأتوبيس .

(3)

رأت عربة سوداء تقف أمام الباب الخلفى للبيت فجراً، أمها تنزل منها خلسة وجهها أشد سواداً من الطرحة التى فوق رأسها وعيناها محمرتان ضيقتان.

- هات الشيك وأنا هاطلع اجيبلك الفلوس.

شكّت البنت «هى راحت تجيب أبويا من المستشفى علشان يحضر فرحى النهارده» انتظرت اختفاء أمها وذهبت إلى السائق سألته، عرفت، سقطت، رأتها أمها ألقت فى وجهه بالفلوس، احتضنتها كتمت صرختها صممت أن تتم زواج ابنتها مهما كان الموقف، أجبرت ابنتها أن تقتل حزنها وتوهم نفسها أن أباها مازال

حياً، جرّتها صديقاتها الغافلات إلى الكوافير.

(4)

حملت معها كباب حله لأنه يحبه، خمسة أرغفة من العيش البلدى، برطمان عسل النحل، ونصف كيلو من الزبد، قابلتها الممرضة فى الطرقة، سألتها عنه أخبرتها أنه بالأمس تم نقله للعناية المركزة.

- طول الليل بينادى عليكى لحد الفجر.

- طب هو فى أوضته.

- هو فى التلاجة من الفجر لأنه ... ما ...

بترت كلامها بصرخة زلزلت المستشفى كلها اندفعت إلى حجرة الطبيب كلبشته بيديها اتهمته بالقتل.

- أنا سايباه امبارح زى الفل وشه زى البدر.

المرضات رفعوها عنه بعد جهد، انطلقت لعنتها على المستشفى والقدر الذى أتى بها إلى هنا، كانت بمفردها لايوجد بصحبتها أى رجل دلتها إحدى التمرجيات على شركة حانوتية خاصة سوف تقوم بتغسيله وتحمله بالسيارة حتى البيت سوف تدفع ثلاثمائة جنيه، وافقت وهى شبه مغيبة طلبوا منها أن تذهب إلى ثلاجة الموتى لكى تتعرف عليه، جرت قدميها إليها إنه هو بنحافته الشديدة وتضخم قدميه لاختزان الدم فيها.. صرخت .. صرخة البعث ولكنه ظل ميتاً..

لم يكن معها المبلغ كله أعطتهم كل ما معها ثم كتب عليها شيكا بالمبلغ المتبقى حتى ترجع وتسدد الباقى، طلب منها السائق بقشيشاً قذفت فى وجهه التراب بدأت تصرخ صرخات هستيرية.

(5)

– أصرّت على زفة ابنتها كما رتّب لها والدها جلست ابنتها فى الزفة كجسد ميت ذى وجه أزرق وفم متخشب، أجرت عربة ربع نقل حملتها بكل حوائج العروس مرة واحدة ونقلتها إلى منزل الزوجية التى كان من المفترض أن تنقل على مدار أربعين يوما وفقاً للعادات، ثم فرّغت الأوانى من الخضروات المطبوخة والحلويات ووزعتها على بيوت الحارة وبعد ما أخلت منزلها من كل مظاهر الفرح المزيف دخلت إليه.

(6)

– ستى بعد ما مات أبويا طردت أمى وقالت لها هانوكلك ولا نوكل ابنك روحى بيت ابوكى يمكن تلاقيلك جوازة، ودتنى لمعلم «بنّا» كنت بأشيل تسع قوالب على قلبى وانا عندى ست سنين وبعد ما ربنا عوضنى بيكى بقيتى انتى والعيال كل حياتى دلوقتى منتظر الموت.

صرخت جمّعت الحارة وأعلنت موته وموتها، صممت أن يدفن

ليلة واحدة

(1)

دخلت عليّ بردفيها المتورمتين، صوّبت إليّ نظرة حمراء زلزلت جسدى كلما تقترب منى يزداد جسدى انكماشا، قطرات العرق تحاصر فمى.

- أنتى دايما عريانة، فين الميت جنيه ؟

كورت جسدى بحركة خائفة أسفل البطانية.

- ميت جنيه بتوع ايه، مجبتليش سيرة عن الموضوع ده.

تذكرت أن صديقتى تعطيها مرتبها كاملا حتى تريح نفسها من الأسطوانه المشروخة.

- أنا مش عارفة حتى اتعالج منكم، رحت للدكتور تلات مرات ومش عارفه اجيب العلاج.

لكننى مفلسة.. لو قلت لها هذا سأتعرّض للسباب والتشكيك فى سلوكها، لقد ارتضيت أن احل محلها يوما واحد لكى أنقذها لا أن أورطها.

- حاضر بكره.

(2)

فور خروجها قفزت من فوق السرير إلى الباب، أغلقته، درت حول نفسى مستمتعة بمساحة الحجرة ، لأول مرة تكون لى حجرة بمفردى

، فأنا أنام فى بيتنا على كنبة فى حجرة الجلوس، أختى أيضا تنام على نفس الكنبة، أظل طيلة الليل مقوسة القدمين، أخى ينام على الكنبة المقابلة فاضطر للغطاء حتى فى الصيف، لكن هذه الليلة قررت أن أكون عارية تماما، بدأت أقلب بصرى فى محتويات الحجرة، سرير، مكتب صغير فوقه أكوام من الكتب المتراصة، تسريحة متراكم أمامها علب المكياج، أمسكت بأصبع روج لونه بنى، وقفت أمام المرآة بدأت أطلى شفتى، اللون البنى تغلغل بين أسنانى، مسحته فورا وأنا ألعنه، تحركت إلى المكتب تصفحت كل العناوين، اخترت كتابا بطريقة عشوائية.

(3)

عاوزه تتجوره من ورانا.

– ممكن تهرب معاه.

– لو عملت كده مش هاقدر أشيل راسى بين اصحابى.

اسمها يتردد صارخا، دفع الباب كاد يخلعه، كلماته غير مترابطة.

– إنتى ... لو شفتك معاه هاقتله.

أنحشر جسده الضخم المربع فى حلق الباب، معدتى الفارغة شغلتنى عن الدفاع عن صديقتى، خرجت على أطراف أصابعى، وصلت إلى المطبخ «فى البيت ده مش هاتلاقى حاجة، ولو لاقيتى

اخطفيها».

للأسف لم أجد سوى قطعة جبن مصفرة اللون وطبق من الكستر المتجمد، خطفتهما ودخلت إلى الحجرة.

(4)

الوقت يمر ببطء، لابد أن اتناوم، مرت ساعة، ساعتان، فجأة رأيته أمامى، شيخوخة رأسه تتصلّب على صدرى، عيناه تمسحان كل تفاصيل جسدى، إنه هو بجسده النحيل القصير مشيته المتنمسة.

- - اوعى تنسى المفتاح.

- المفتاح ! دايما باخبيه فى درج المكتب.

حرارة أنفاسه تخنقنى، تلهب جسدى، صرخت.

«عمى أنا مش...»

ارتعش ، قفز إلى الباب.

- أنا آسف كنت أظنك . ...

***

«إنه بيت ملعون، باسم صداقتنا طهرينى ولو لليلة واحدة».

صانعة الغربال

(1)

اشتريه يا سيدتى، سيعيش معك أكثر من عشرين عاما، ماذا أفعل به ؟ ليس لدى قمح أو شعير، خبزى جاهز، هذا الغربال يغربل أشياء أخرى، يغربل العمر، الذكريات يسقط حبك لزميلك، يطفو زواجك من زوج صديقتك الوحيدة يسقط حلمك فى طفل يطفو، تسكع اخواتك فى الطرقات إدمان أبيك، سكون أمك فى القبر.

عيونه كثيرة متسعة.

لتجهض كل شىء ماعدا آلام المخاض.

(2)

- لم يتبق منه سوى جثة اسفنجية تدمع دماً، ترتعد خوفا من أن تحتضنها الروح فتعود إلى عالمى من جديد أيتها السكين المسنونة بأسنان الشيطان السجان، شُقى هذا الجلد، انزعيه ثم شرّحيه طولاً وعرضاً ثم انقعيه فى الماء والملح حتى يسقط آخر آه، يتحنط كما تحنط حلمنا فى حجرة أخرى تضم رفات بناتنا الثلاث، سأضفره وسأجعل عيونه متسعة هذه العين أسقطت حلمه أن يصبح رجلاً قادراً على الابتسام، أما هذه اسقطت حلم ابنتنا الصغرى أن تصبح طبيبة لا ابنة شيال وتلك أسقطت حلم ابنتنا الكبرى فى الشفاء، هذه

العيون أسقطن حلم ابنتنا الوسطى أن نشترى فى جهازها بوتجازاً وثلاجة سأعصبك بعصابة جلدية أدق رؤوسك فى إطار خشبى أخلى بينك وبين الشمس فتمتص شوائك أحلامنا فتتصلب عيدانك لتمزق كل شىء... كل شىء.

(3)

يخنق كتفيه بذراعى عربته الخشبية، يجذبها إلى الأمام مرة وإلى الخلف مرات كأنه فى علاقة محرمة مع امرأة غادرة تنهك قواه يتفصد جبينه عرقاً تنتفخ بطنها بخمسين كيلو جراماً من الدقيق لا يستطيع شدها فيجهضها عند أول زقاق، ثم يرجع إلى زوجته وبناته الثلاث يتجلجل جيبه ببعض القطع الفضية يدفن رأسه فى صدرها تحنو عليه، يتكور كأنه يريد أن يتعلق برحمها، فيولد من جديد رجلاً قادراً على الابتسام يتحسس عقدها، تتحسس هى العقد المنقرش حول كتفيه «خذه بعه واشترى به حماراً ينتقم لك منها» نعم يجعلها تحبل مئات المرات ويجهضها مئات المرات وينتفخ جيبى لأول مرة بمئات الجنيهات.

(4)

أنت تجبرنى أن أحمل لك سوطاً يلدغك كما لدغتنى الأيام، لم يدخل العيد منزلى منذ ثلاث سنوات يريد قرباناً أريد أن اشترى لها عقدا ولو بحبة واحدة ادفع مصاريف ابنتى الدكتور، أعالج ابن ابنتى الكبرى من الحمى، أدفع قسط الثلاجة وأطمع أن اشترى جلباباً يليق بأننى أصبحت صاحب حمار.

أنت بالتأكيد تسمعنى فرأسك تحركها كالبندول أنظر إلى عربة النقل هذه تحمل أطناناً وأنت تلهث من مائة .. آه لو فتحت لى طاقة القدر لطلبت عربة بحصان.. شى شى ، هذا الصوت سيجعلك كالبرق قف.. قف .. يا مجنون يا ابن الحمار .. الـ عـ .. ر بـ .. ة

جنون تحت الجلد

جرثومة (ألف)

نبتت من ضرب السوط ، تتغذى على كلمة نعم، نعم سأبتلع كل حروف النفى، كل أدوات الاستفهام؛ سأكون كما تريدنى أن أكون، سأذهب إلى المقبرة الغريبة لأكفن الشمس، سأتغذى على جثة عقلى المتعفنة تحت قدميك، سأهتف بسقوط الأنا، ويحيا الأنت، أقيد لسانى وأكون ظلك الأبدى.

جرثومة (ياء)

نبتت من ابليس فى لحظة رفض السجدة الأولى، تتغذى على أمنيات النفس المتمردة، لا لهذا أو لذاك، حتى ولو كان صوت العقل المتعجرف، أو صوت القلب الراهف من طيات العشق، سأنتزعك منى، سأهدم نفسى وأعيدها كما تريد هى، لن أكون أنا ولن أكون أنت، سأهتف للهى والهو، لابد أن أغيب عنك وتغيب عنى، لا.. لا أريد أن اسمى هذا البكم حياة، جرثومة (ألف) تعشق جرثومة (ياء) عشق الأرض للسماء، ينتفخ الجلد، يبرز بثورا مملوءة بالقيح نبت ألف مع ياء.

جرثومة (ل)

نبتت من لحظة شوق فى رحم القلب، أعشق هذا كالموت الذى ينقذنى من براثن القتل فى ميدان الظلم، أحبك أنت لأنك أشفيتنى من البكم، أحب هذه الأرض لشجرة أنت زارعها، أعشق هذا الطفل لأنه جزء من أحشائى، أعشق هذه الكلمة لأنها حرف من الله وحرف من الوطن، منطوقة فى الدنيا، مسموعة فى الأخرة.

جرثومة (هاء)

نبتت ما بين حياة وموت، تتغذى على إثم الخطيئة، أكره هذا الشخص لأنه أخرجنى من نفسى، قطع حبل الصمت فانتهك حرمتى، أكره هذه الأرض لأن الشجرة صارت نارية تحرق أصوات العصافير، أكره هذا الولد لأنه جعلنى عارية، أكره هذه الكلمة لأنها ستكون مدمرتى.

جرثومة (لام) تكره (هاء) تتصارع ينتفخ الجلد، يخرج آثاما.. تلتهم الضمير.

جرثومة (ميم)

نبتت من بذرة جوع منغمسة فى الخوف، برغوث يعشق طعم دمائى، والمعدة تعشق طعم اللحم، هو يمتص وهى تطحن أمعائى، عقلى يرسل إشاراته إلى الفم فلتنطق بكل ألوان القتل، بشرط أن تقدم قتلاك إلى المعدة، اليد فلتصفعى كل الضمائر بشرط أن تنهشى قلب هذا وتقدميه مائدة لها، هو يقفز ليمتص دم العقل، وهى تهبط لتطحن كل القلوب.

جرثومة (واو)

نبتت من لحظة جزع على فقدان الضمير، لا.. لا أريد شرب دماء الأعداء، لا أريد لحم الصقور ولا فاكهة الذل، إنى أحب الخواء.

جرثومة (ألف) مع (ميم).. والياء مع الواو، لام مع ميم، والهاء مع الألف، ينتفخ الجلد، يتضخم ملايين المرات، ينفجر ، يخرج كلمة السر، تلتصق مع الرعد، تمتطر جراثيم الجنون.

العيــــون

(1)

سأبحث عنه فى شبكات المعتقلات، وربما أكون فى يوم ما سجينة أحدها ربما أكون بجواره.

سقط فوق كرسيه ككومة من الرمال، نظر فى وجه ابنته الوحيدة مازالت عيناها الخضراء تشع بالتحدى الغاضب، لن أتركه أبداً ولو صممت سأترك البيت فوراً.

(2)

بعد ما حبست نفسها ثلاثة أيام فى حجرتها خرجت، مازالت بمريلة المدرسة نظر إليها والدها الذى كان مرابطاً على الباب لايجرؤ على الدخول

– مأحبش حد يسألنى مالك؟

انطلقت إلى المدرسة بمفردها دون أن تحمل حقيبة الكتب، رفضت أن تأخذ السندويتشات.

(3)

وقف أطفال العمارة فى صحبة أمهاتهم بانتظار أتوبيس المدرسة، مرت من أمامهم، تهامست إحدى جاراتها مع ابنتها «ماتصاحبيهاش

دى بنت مجنونة، كمان وشها نحس، أمها ماتت بعد ماولدتها بساعة».

بعد عشر دقائق من دخولها المدرسة تم طردها

«أبنتك مفصولة لمدة أسبوع أصل معندهاش انتماء».

«إيه اللى هيحصل يعنى لو فصلنا كله مع فصل خامسة تانى ماحياش العلم النهاردة؟».

(4)

لمحته خارجاً لتوه من أحد مسارح الكباريه السياسى يداعب طفلته المتعلقة بعنقه، يده اليمنى مشتبكة مع أصابع ابنه اللينة الذى أخذ يقوم بإحدى الحركات البهلوانية فيسقط فى دوامة من الضحك، تأتى هى تلتحم بجانبه الأيسر، نعم إنها هى، رأيتها منذ سبع سنوات تنتظره مع والدها السياسى المرموق على باب المعتقل الذى خرج منه إلى الأبد.

مرت من أمامه تسمر بصره عليها وهى تحمل فوق ذراعيها كومة من الكتب، كأنه كان معها بالأمس.

– إننى أريد الزواج منك،، لم أستطع تمزيق خيوط العنكبوت.

– كنت أحبك عندما كانوا يرونك مجنوناً لكن بعد ما سرت على صراطهم المستقيم إنى أسفة اذهب اليها أو إليهم.

(5)

لم تصدم عندما أخبرها الطبيب بأن والدها لم يتبق من حياته سوى شهر، قد يتقلص إلى أيام.

- لابد أن أخطط لحياتى بعد وفاته وخصوصاً بعد بلوغى سن الأربعين.

دخلت المدرج، انتشرت أشعة عينيها الخضراوين تبحثان عن الألسنة الصاخبة، بدأت تحلق فوق عقول الطلبة، كبكبت شعرها الأسود المتناثر فيه بعض الشعيرات البيضاء حول الجبهة السمراء وبنبرة من التحدى الغاضب.

قبل أن نتناول أحد نصوص محى الدين بن عربى لابد أن نتعلم كيف نقرأ.

الحصير المقلى

(1)

بدأت قدمه تلطم الأرض فتوشم أصابعها بأبر الوحل تجتاح القشعريرة جسده ينكمش، تدق أسنانه جرس الانذار، لكن الرياح تعصف بجلبابه الممزق تنهش صدره العارى وسيقانه النحيلة، ينهال المطر كى يطهره من حضنها المحرم، تتزاوج قطراته فوق كومة الحصير المبتلعة رأسه المنحنية فتسقط على جانبيه سياطا مثلجة، ينظر إلى قدمه المجلودة دوما بابتسامته المرة.

قد جعلت ثلاث قرى اليوم حذاء لك، لابد أن أبيع العشرين قطعة، طرق الشتاء باب أطفالى منذ شهر فوجدهم عرايا، كل يوم تجلدهم مائة جلدة فهى تريد أن أقدم لها قربانا من قطعة صوف لنعمة، بنطلون لمحمود، حذاءً لحمدى، شال لكريمة، أما أنا فأقابلها بجلبابى هذا منذ خمس سنوات.

فجأة اصطدم بعامود إضاءة ، قليت الكومة بمياه ماسورة المجارى المتفجرة.

(2)

- ما رأيك فى هذه القطعة ؟ إنها تشبه السجاد العجمى.

- السجاد العجمى ! بل قل السجاد الطينى فان حصيرتك محلاه بالطين فما ثمنها؟

– خمسة وعشرون جنيها.

– أننى سأجلس فوقها لحراسة الكتاكيت من الحدأة.

– وأنا أيضا أريد حراسة أطفالى من الحدأة.

– سأدفع لك عشرين جنيها.

– لو جربت يوما أن تحملى مثل هذه الكومة فوق عنقك النحيل وأنت فى مثل شيخوختى وتسيرى بها ساعتين بقدمك الحافية، ترتفعين فوق طوار وتدفنين فى حفرة مجارى، تمزق قدمك شظية كوب زجاجى مكسور أو حافة حجر مسنون فيحشى جرحك بالطين ماذا كنت عندئذ ستدفعين ؟

– لن أدفع سوى العشرين جنيها... وإلا.

(3)

– أبى انظر إلى هذا الفستان، سأخيط مثله عندما تشترى لى القطعة الصوفية... هل اشتريتها؟

– وأنا أريد الحذاء.

– وأنا مثلهم أريد الشال ولكن بعد ما تتناول طبق الفول الساخن.

– خذى هذه العشرين.

– لماذا انتفضت هكذا ؟

– سأخرج .

- انك لم تسترح سوى ساعة والعشاء على آذان.

ربما أتخلص من ثقلها اليوم.

(4)

ما زالت كما هى جميلة بعينيها العميقتين المدفون فيهما أحلامنا القديمة، ابتسامة فمها الصغير يضىء لى طرقى المظلمة، ولكن الفقر بدأ يلتهم جسدها، فانطفأ نهداها، وجف ردفاها، وغدا سيلتهم أحلام أطفالى، حمدى حان وقت دخوله المدرسة لن أتركه كأخيه الأكبر تمتصه الطرقات وغدا نعمة ستكون عروسا لابد من التغيير، نعم هو ....، سأستأجر لى محلا، ربما يكون لى عربة كهذه ، سأصبح تاجراً.

ولكن صوت احتكاك العجلات بتر كلمته الأخيرة فقليت كومته بدمائه المختلطة بالظلام والطين.

امرأة مفلسة

(1)

- أشوف وشك بخير.

- ليه.

ارتعشت أنفاسه، انقطع الخط، انهالت الدموع على خديها تجرف معها مساحات البودرة، بدا وجهها الليمونى مطرزا بخطوط زرقاء، تعثرت قدمها بسلك السماعة المعلقة فسقط التليفون على البلاط، تحركت كالسكرانة، مات بصرها على أختها نصف الميتة.

«ستكونين مثلها إذا صممت على الزواج منه».

(2)

أغلقت حجرتها خلفها، بدت لها الحوائط كالوحوش تنقض عليها، شيئا فشيئا تضيق الحجرة، تصبح كعلبة الدخان «سأجعلك تدمنين رائحة النيكوتين».

ألقت بنفسها على السرير، رأته معجونا بالديدان والقمل، قفزت، سقطت الرواية، احتضنت الإهداء بأهدابها السوداء «البنت اللى اتخلقت علشانها وده مش كفاية، يارب تكون هى كمان مخلوقة عشانى ممكن يكون ده كفاية».

خلعت ملابسها، دفنت بصرها فى جسدها العارى «بسرعة..

بسرعة، العريس على وصول ماتلبسيش بنطلون البسى فستان علشان يبين تقسيمات جسمك، دول عشرين فدان».

ارتدت بنطالا أسوداً وبلوزة زرقاء شفافة متلاحمة بأزرار سوداء، عندما وصلت إلى زر الرقبة تحسست السلسلة «سأشترى لك سلسة بحرف M» خطفت حقيبتها المربعة.. هربت «إنتى رايحة فين؟! العريس.. دول عشرين فدان».

(3)

– وهى تتلوى بين سلسلة السيارات الصاخبة بدأت تعيد رسم العريس بذاكرتها، وجهه البنكنوتى، عيناه اللتان تنطق فيهما الغريزة تخترقان فتحة صدرها المكتنز، إنه ذو كرش، أكل فرخة مشوية اشتراها والدى من المحل مخصوص، وشرب زجاجتين حاجة ساقعة، وكوب كركديه، وكوب من عصير الليمون، انفرجت شفتاها عن نصف ابتسامة ساخرة «سوف أسوقه إلى بقعتى المقدسة ها هنا، سأجعله مكانه، سوف يحاول أن يمسك يدى كما فعلها هو».

انكمش وجهها فجأة ثم انبسطت أساريره، ابتسمت بشوق.

– يدك ملفتة للنظر، أصابعها طويلة، نحيلة... ناعمة.

– معك حق زوجتى قالت لى «إنها زى ايد النسوان».

فتح يده، احتضن أصابعها الشبيهة بأصابعه، ماتت يدها من

الخوف والرغبة، فتح يده، طارت يدها.

- ابنى الكبير أكثر أخواته شبها بى.

(4)

- إيه يعنى لما أكون زوجة ثانية، إيه يعنى لما أفتقدهم، إيه يعنى لما اهيئ نفسى للموت.

- ربنا ينولك كل اللى فى بالك.

انتبهت على صوت امرأة وجهها القبيح مألوف لديها، مدت المرأة يدها، جذبتها من كم البلوزة الشفاف، عيناها تحملان نظرات الترجى كى تفوز بالربع جنيه المعتاد، دفعتها بعنف غاضب.

كنت أتصدق لأنه كان معى، بداخلى لكن الآن بعد غيابه أصبحت امرأة مفلسة.

انفجر صوتها الديناميتى يعمى كل العيون البلاستيكية المحملقة، هل تسمعون: «إنى امرأة. مفلسة... مفلسة... مفلسة».

امرأة من الثلج

- يتأمل استطالة اللوح الثلجى، يتمنى بداخله أن يكون مدورا ليلائم وجهه البيضاوى، لسعه الماء الناضح منه انتفض، ارتدى جورب يده، أمسك بآلته الحادة، نحت تحديبة العينين، توسطهما ونحت علامة استفهام مقلوبة، مثقوبة من الجهتين، أسفل منها شرّخ شرختين ابتلعتا عرض اللوح، ثم أنهى كل ذلك بخط نصف دائرى، اتجه إلى الطرف الآخر من اللوح، فعل به ما فعله بالطرف الأول، تحديبة العين، العلامة المقلوبة المثقوبة، الشرختان، أنهى كل ذلك بزاوية حادة، قام بتشريح الجبهة فى الطرف الأول وتشريح الذقن بالطرف الثانى، رأى الوجهين ينزفان حتى طمست معالمها، تخشب عليه... حتى تبخر كل شىء.

سيجارة ملفوفة

(أ)

- تتجوزينى.

- إيه.

- أنتى عارفة لو اتجوزتينى هاعملك فرح ماحصلش فى جزيرة البط، بسدلوقتى اشتريلى خمس سجاير، بلاش خليها سيجارة واحدة ملفوفة وهاتى علبة كبريت من جوه.

اندفعتُ إلى الداخل تحت تأثير الدهشة، ثم بعد دقائق رجعتْ اليها وأنا شبه مغيبة بيدى علبة الكبريت، جلستْ فوق الطوار بعظمة وضعت قدمها اليمنى فوق ركبتها اليسرى وضعتْ يدها اليسرى فى الجيب الأيسر من القميص الرجالى الممزق لدرجة أنه يمكنك أن ترى جميع تفاصيل جسدها بدقة مثيرة أخرجت كومة من أعقاب السجائر ثم أخرجت كومة أخرى من جيب نصف البنطلون الذى يغطى ركبتيها فقط، أعقاب السجائر مختلفة الأنواع والأطوال، بعضها يمثّل ثلاثة أرباع سيجارة والبعض الآخر يتراوح ما بين نصف السيجارة وربعها، غصت فى ملامحها ، عيناها الخضراوان، أنفها الدقيق، فمها الصغير، استدارة وجهها، بياض بشرتها، الجسد المتناسق مع هذه الملامح الجميلة، نعم إنها ملكة جمال بالنسبة لى

لكن ما يشين هذا الجمال شعرها الأصفر الملتف حول بعضه كعش النمل، خشونة صوتها إنه رجالى مائة فى المائة، انطفاء نهديها بل انعدامهما تماما، أخذت تقلب بصرها ويديها بينهم حتى ماتت يدها على عقب يمثل ربع سيجارة صلبتّ بصرها فى عينى ابتسمتْ نصف ابتسامة ممزوجة بالبلاهة والخبث.

- هو ده اللى لسه فيه ريحة بانجو تاخدى.

بدأت تدغدغه بين أسنانها الصغيرة ثم بدأت تعاشره فى صمت.

(2)

- كل واحد من ولادك يخدم نفسه أو أخدميهم إنتى.

- بقولك ايه يا بنت إنتى احنا كلنا كنا مستحملينك علشان ستك اللى بتقبض المعاش أبو ميتين لكن أهى ماتت وانقطع المعاش يبقى لازم تحللى اللقمة اللى بتطفحيها.

- أنا عايشة من ميراث أبويا.

- أمك خدته وطفشت .

- لأ ماخدتش واذا ماكنتوش طيقينى ادونى ميراثى واسيب لكم البيت من دلوقتى.

- يعنى ايه.!

- يعنى اللى هيضربنى هاضربه هاعيش معاكم بدراعى.

- انتى هاتعيشى زى ما احنا عايزين.

بدأت المرأة تصرخ، التف حولها كل سكان الحارة.

- دى بنت مسترجلة رفعت على اولاد عمها السكينة وبتدى لعمها كل شتيمة وشتيمة.

- بكرة تتجوز وترتاحى منها.

- وده مين اللى هيتجوزها.

- البنت حلوة بس هايجه شوية.

- دى ممكن اللى يتجوزها تقتله ما تخليش بناتك يقعدوا معاها لحسن يتعلموا منها.

استدارت اليها المرأة برأسها البومية.

لما ييجى عمك هاخليه يحبسك مش هتشوفى الشمس تانى بعد النهارده.

(3)

- ادينى سيجارة.

- خدى.

- لأ أنا عايزاها ملفوفة.

- انتى هتتشرطى سيبينى ارقص معاها دانى منقط بالف جنيه.

- تعالى يا بنت نوال أنا هاديلك الملفوفة دى أمك كانت غالية عليا

بس قوليلى هى طفشت ليه.

أخذت منه السيجارة ثم نظرت اليه باحتقار ضغطت على السيجارة

- طيب ماتعرفيش هربت مع مين؟.

انقسمت السيجارة، سقطت على الأرض، ضغطت على رقبته، كادت تخنقه ، أنقذه اثنان من المخبرين .

- تعالى حضرة الضابط محضرلك علبة كاملة ملفوفة.

تهامسا مع بعضهما البعض.

بدل ما يتسلى علينا طول الليل خليه مع بنت نوال.

لازم اتأكد... انتى بنت فعلا ولا راجل زى ما بتقولى.

هاتها لمكتبى.

نزع ملابسها... فك أربطة الشاش حول نهديها.

(4)

- أدى شباك اودتها مكسور مش باقولك هربت بص شوف أكوام أعقاب السجاير.

- دلوقتى عرفت سجايرى كانت بتروح فين.

- مش سجايرك بس أدى عدة الشغل، شوف المقصات وأمك بتقول ضاعت منها السكينة الجديدة.

- يالا نلحقها كانت مبيتة امبارح فى القسم.

- العيال شافوها واقفة مع البنت العانس اللى فى أول الشارع العمومى.

(5)

«حضرة الظابط كان عايز يتأكد منى أصله مايعرفش إن ولاد عمى سبقوه ولما عرفوا خافوا، حبسونى وأدينى هربت تتجوزينى بقى».

هجموا عليها «تعالى معانا ده احنا بنتعاير بيكى فى الحتة كلها». أخرجت السكين، هجمت عليهم، تراجعوا ، جرت، جروا خلفها، من هذا اليوم اختفت وسط ضباب الشائعات.

- ربنا كان هيقلبها راجل.
- دى حتة بنت إنما إيه!.
- محصلتش بنت ولا راجل
- هى... لأ .. هربت.. لأ .. لسه محبوسة.
- افتكرتها.. هى الوحيدة التى عرضت على الزواج.

«تتجوزينى إنتى عارفة لو اتجوزتينى هاعملك فرح ماحصلش فى جزيرة البط».

خمس بنات

(1)

ينمن ملتصقات على السرير الإيديال الأسود، هضبة ردف «سميرة» تتداخل مع نتوء خصر رحمة.. رأس «قنعة» الصغير يختفى بين نهدى «ليلى».

قدم «شربات» السمينة ترقد فوق بطن سميرة العريض، خصلات شعر ليلى فى فم قنعة المفتوح دائما، يقذفن الغطاء متسلسلات ببرودة الشتاء.

(2)

تذكرت عندما كنت أنام بجوارهما وأنا صغيرة فيحملنى بخفة على ذراعيه يضعنى بهدوء على حافة السرير، أتصنع النوم، يقترب منها يلتهمها، أحاول أن أهرب، أسقط من فوق السرير، ظللت بجواره، كنت أراها فى عينيه رغم بعدها، كانت شربات تتحرك خلسة نحو الحجرة تراقبنا كما كانت تراقبهما، اقترب منى كاد يبتلعنى، تقيأنى عندما شعر بها فى الخارج أو عندما تذكر «رحمة»، حرك أوكرة الباب بعنف، انفجر صراخ شربات، يدها الملطخة بقطرات الدم السائلة من عينها اليمنى... هرب للأبد.

(3)

أنا متأكدة من حبها له، هو أيضا يحبها رغم أنه كان يحبنى قبل زواجنا لكن بعد مرضى أصبحت نحيفة، مرهقة، سميرة أجمل منى، صغيرة، فى الكلية، دائما كان يصر أن تنام معنا دون سائر أخواتى، حتى بعد ما دخلت الثانوية، ربما حتى الآن.. لولا أننى حامل.

(4)

– بس دى أختك.

– اعدم عينى السليمة هى كده زى ما قلتلك.. شفتها فى حضنه فى الخرابة.

لمحتها قادمة من الصالة، تمسك بصينية الشاى كمانيكان، عيناها تحفران قسمات وجهه الساخطة، تتصلبان على شفتى أختها الغليظتين المتعاركتين دائما، المينى جيب كاد يفلت منها لولا امتلاء ردفيها، أفزعهما كعب حذائها العالى ، اصطدمت بها وهى تسرع للاختباء، سقطت الصينية من بين يديها اختفت دبلته بين شظايا الزجاج المكسور.

(5)

كان يحبنى يسير خلفى فى أى مكان، كنت أرسل إلى أمه يوميا طبقا من الحلويات، كانت أمه تقول لى «إنتى أجمل إخواتك ست بيت

يارب تكونى من نصيبه».

ذقت معه أول قبلة فى حياتى لكن بعد عينى الزجاجية سأنتقم منه، لن يتزوج ليلى، وسأنتقم منها أيضا لأنها شاغلته من فوق السطوح.

(6)

– سميرة، هى لازم الست تحب راجل؟.. أهو إنتى ورحمة مثلا حبتوه، هجر رحمة وهرب منك، إيه المانع لو حبتينى بداله، وإيه رأيك نتبنى ابن رحمة؟.. هو لازم يتكتب باسم راجل؟!.

(7)

شربات تسببت فى فسخ خطوبتى، وعشقت ابن رحمة، على العموم لن أتزوج ، تكفينى الخرابة، شربات تكرهنى ، وسميرة تكره قنعة، وقنعة تكره شربات، ورحمة لا تحب ولا تكره، إذن أنا سأكرهها لأنها تركت سميرة تغتصب زوجها حولت سميرة من فتاة كلية لفتاة ليل، مريضة دائما، هى الوحيدة التى لها ابن لماذا لا أغتصبه منها؟

(8)

لا يسمع فى البيت أى همس سوى الرشق بـ ـطرات العاتبة، الحاقدة، النادمة، الفاجرة.. أعمال البيت تمر بدون أية مشاكل،

سـميرة تـغسل كل شـىء، الملابس، الأوانى، البلاط.. قنعة ترتب كل شىء، الملابس، الأوانى، الأثاث .. شربات بعينها الزجاجية تطبخ كل شىء، تصنع الحلويات... الأخبار الفاضحة!

ليلى تجلس فوق السطح مع الكتاكيت، تفك ضفائرها، تجرب تسريحات الممثلات، تشاغل صاحب القهوة التى بجوار الخرابة، تحتضن الأرنب، تخفيه بين نهديها.. أما رحمة بجسمها النحيل ومرضها المزمن تتحول إلى طفلة تلعب بعلب الأدوية الفارغة تكون منها عمارة ثم تهدمها...

الباب الخارجى مفتوح ليل نهار، مع ذلك لا يخرجن منه، ولا يدخل عليهن أحد سوى طفل صغير يناديهن جميعا

– ياماما.

جلباب شحاذ

(أ)

أعطيه «الربع جنيه» كلما مررت بشارع المرادنى .. كانت صديقاتى يخجلن منى عندما كنت أجلس بجواره... أجد متعة فى تأمل كل حركاته.. وسامته الشديدة كأنه نجم سينما متخفياً فى جلباب شحاذ.. تناوله الارستقراطى لبعض الفاكهة التى يشحذها من التجار..

لا أجد غرابة لشائعات عن علاقاته مع زوجات ثريات.. الغرابة أنه ينام معهن بجلبابه المرقع بخمسين رقعة على الأقل فى جيبه بكرة خيط أسود.. إبرة.. لفافات من القماش القديم.. يظل ساهرا يرقعه..

(2)

جالسا فى الكراسى الأولى.. يستمع الى القسيس باهتمام... جميع رواد الكنيسة يعرفونه.. لا يتخلف عن قداس.. يرونه فى مقابرهم.. يرطن بين مجموعة من النساء ببعض الكلمات القبطية ويترجمها لهن ينادونه «ياعبد المسيح».يتحرك بينهن برشاقة كى يشحذ علاقة تحوله الى كائن منزلى ولو ليلة واحدة..

(3)

يزاحم صفوف المصلين.. يتأففون.. معروفا لديهم أن «عبد الحى رجل مخادع ليس له دين» يصل إلى الصف الأول بعد انتهائه من صلاة العشاء.. يجلس فى مجلس الوعظ.. يستمع لبعض الآيات والأحاديث التى يستغلها فى مهنة الشحاذة.. ينام.. يستيقظ على آذان الفجر «فمعظم الليالى» يقضيها فى جامع المرادنى أو كما يسمونه جامع المساكين.

(4)

الجميع يبغضه .. الجميع يمنحه العطايا والهبات بسخاء.. كان يستبطن أمنيات شديدة الخصوصية لدى الأفراد الذين يستجديهم.. يعلنها أمامهم داعيا الله أن يحققها.. كأنه يعيش بداخلهم.

(5)

كلما مررت بجامع المرادنى.. أبحث عنه.. حزنت عندما رأيته مذبوحا عاريا من جلبابه اليتيم الذى يرقعه بالأموال التى يحصل عليها كل ليلة.

البرواز

(1)

كان الجميع يهنئونه على حسن اختياره لها.. بل كانوا يعتبرونه محظوظا لأنه شاب صالح.. حافظاً للقرآن الكريم.. كانوا يلقبونه على صغر سنه بالشيخ أحمد.. قد علموا أنه تقدم لخطبتها الاسبوع الماضى.. كم هى فتاة جميلة.. تنشرح لها العين عندما تلتقط صورتها.. تقاطيع وجهها منمنمة متناسقة.. نظرتها مفعمة بالذكاء والطيبة جميع سكان الحى لا يكفون الحديث عنها.. لا تسمع لها صوتا ضاحكا أو باكيا.. لا تراها إلا مرة واحدة فى الاسبوع عكس أختيها.. تخرجان يوميا فجراً.. لا تراهما إلا فى المساء.. صوتهما تسمعه من آخر الشارع.. تحادثان الرجال بسفور.. ضحكتهما تنم عن فجور مكبوت.. صراخهما لا ينقطع .. دائما فى شجار ينتهى بذهاب إحداهما إلى المستشفى دون معرفة السبب..

(2)

كانت تدرك أن أختيها متأكدتان أنها ستكون زيجة فاشلة لكنهما لا تستطيعان النطق بهذه الهمسات لها.. أو لغيرها من نسوة الحى خوفا من اتهامهما بالغيرة والحقد.. كانت تنظر اليهما نظرة خبث.. إنها موافقة على رأيهما.. أنها آخر امرأة فى العالم صالحة له.. ربما كانت إحداهما أفضل منها مائة مرة.. لكنها أيضا غير قادرة على الإفصاح له أو لغيره..

(3)

كانت مؤمنة .. أنها تحمل فى أعماقها أفظع أنواع القبح ثم تطهيه تخرجه ألوانا مختلفة من الرقة والهدوء.. توزعه على سكان الحى فى اللحظات التى تلتقى بهم.. لكنها تلعنهم بمجرد الانفراد بنفسها ثم تخرج قبحها فى سرية تامة.. تمارس عادتها السرية بإدمان.. عندما تركب الاتوبيس الذى يحررها من بروازها تلتصق بأجساد الرجال.. تعبث معهم لعدة ساعات.. تعشق القذارة.. الحجرة زاخرة بالقمامة والحشرات بل أحيانا تتبول بداخل الحجرة. لا تستحم إلا عند الخروج الاسبوعى لتشترى جميع متعلقاتها باغتصاب فلوس أختيها اللتين تعملان ليلَ نهار بالمصنع.. علاقتها بهما علاقة الآمر الناهى.. إذا لم تستجب إحداهما للأمر.. تقذفها بكل أنواع السباب والشتائم التى يستحى منها الشيطان، بصوت خفى خوفاً أن يسمعه أحد الجيران فيخدش بروازها.. عندما يشتد غلها.. تنقض على أختها كالمجنونة تقضم بأسنانها لحم أختيها من كل الأجزاء لاتهدأ إلا عندما يتقطر فمها دما.

(4)

فصصته بنظرتها.. تذكرت وجهه الذى رأته لأول مرة يخطب فى مأتم أبيها ثم شرد ذهنها إلى ذكرياتها مع أبيها التى تتراوح بين التدليل الشديد لدرجة أنه يقبل يديها وقدميها.. ويعتدى على أمها بالضرب إذا أهملتها لحظة وبين الضرب المبرح من قبل أمها اذا رأتها تلعب فى برازها يصل لدرجة التعذيب وتعليقها بالسقف اذا

رأتها تلعب مع ابن الجيران لعبة «العريس والعروسة»، تقلد معه ما رأته فى ليلة عرس عمها من الشيش.. من شدة الألم افترت على أمها.. قالت أنها رأتها مع عمها.. منذ ذلك اليوم اختفى وجه أبيها وتدليله.. عندما طردها مع أمها وأختيها لدار جدتها.. الجميع عاملها هناك كمذنبة تقضى سنوات عقوبة أخرجتها من الطفولة الى المراهقة.

(5)

أول لقاء لهما بعد الفاتحة.. قدم لها هدية.. كان معتزاً بها.. كأنه نزعها من طيات السماء.. خمار أسود.. نقاب له نفس اللون فى كيس له نفس اللون.. علبة بها مصحف مذهب.. معه ورقة بها جميع انجازاته.

«حافظا للقرآن الكريم»

«خطيبا فى جامع الأربعين والمآتم»

«محفظا للأطفال القرآن الكريم بعد صلاة العصر»

«بالإضافة لعملى الحكومى كمدرس لغة عربية»

ابتسمت له الابتسامة الهادئة المعهودة.. بصوت رقيق يحمل كلمات أشد عذوبة.

«جزاك الله خيرا عنى»

وضعت المصحف فوق أكوام المصاحف المتراصة فوق «ترابيزة صغيرة» تلمعهم فقط اذا علمت بقدوم ضيف... بدأ يظهر ثقافته الدينية تحدث عن حقوق الزوج... و ... و ... أيقنت أنه على وشك أن ينكسر البرواز.

المقايضة

ذرفت ثلاث دمعات عند توديعى.. برقت أعين أخواتى بالأمل.. الفأل يقول :
«إن زواج البنت الكبرى يجر وراءه زواج البنت الثانية والثالثة».

أغلقتُ باب الشقة... إننى أشعر بالنفى.. التفتُ خائفة أبحث عن رفيقى.. وجدته قفز إلى حجرة النوم.. أغلقها خلفه بسرعة مجنونة.. تذكرت تحذير خالى لى.. فكم حدثه عن عشرات من أفلام الجنس.. أنواع المنشطات المختلفة.. ارتعدت.. تسمرت بمكانى.. مرت ساعة ثم نصف.. فكرت لماذا هو ؟

قد تركته يحدد معه كل شىء قيمة المهر.. الشبكة.. الشقة.. ميعاد الزواج، قررت اقتحام خلوته.. فوجئت بانكماشه على حافة السرير... عيناه نصف مفتوحتين.. آنات مكتومة بالوسادة التى يحتضنها.. عندما واجهته تمتم ببعض الكلمات.. الدكتور.. الأمل.. العلاج.. شهر .. شهرين..

.... تذكرت دمعات أمى التى تقطر سعادة المجاهد الذى أكمل رسالته... استعداد أخواتى لرحيلى منذ شهر... تقسيمهن لأشيائى.. إحداهن أخذت ملابسى القديمة... الأخرى... سريرى.. الثالثة درج مكتبى.. قررت أن أقايضه.

تستمر هذه العلاقة مقدسة بمظهرها الخارجى على الأقل فى الوقت الحالى.. فى مقابل ... منحى حجرة مستقلة.. مكتبا صغيرا.. بعض الحرية الشريفة التى كنت أتمتع بها قبل زواجى... هدهدته.. اكتفيت منه ببعض القبلات الحارة.. لحظات ودق الجرس.. دخلت أخته بصحبة طفلتها الجميلة.. تحمل طبقا مملوءً بالفاكهة.. تطلب من أمها أين تضعه.. نطقت بكلمة «ماما» أكثر من ثلاث مرات فى الدقيقة الواحدة... أيقنت بداخلى أننى قايضته على شىء أكبر من حريتى...

الترابيزة المقدسة

(1)

منذ ساعة ونصف وهو جالس القرفصاء أمام منزل ابن عمه ينتظره تأفف متندماً... أشعل سيجارة...

«إن تربيزة المقامرة أكثر دفئاً من هذه المصطبة».

* * *

(2)

انتهت الضحكات والنكات الجنسية.. بدأ الجدل العقيم حول نظرية صراع الحضارات.. شعر أن خسارته على هذه الترابيزة لا تمكنه الدخول فى حلبة المصارعة.. نثر أوراقه.. انسلخ من بينهم...

«إن دفء هذه الترابيزة أفقده زوجته وابنتيه وعمله بالبنك».

* * *

(3)

رد التحية على رجل مر أمامه وهو مطأطئ الرأس خوفا.. لأنه لو تعرف عليه.. لأيقظ الحى بأكمله بصوته الصائح الذى يطالبه بالمبلغ المتراكم عليه منذ شهرين..... لقد هجر المدينة بأكملها من مطالبة الدائنين.. وإعلانات المحكمة لأكثر من قضية شيك بدون رصيد.

«سجنت ستة أشهر ولا أستطيع أن أعيش تجربة السجن مرة أخرى»

«لم أعد احتمل العجز أمام متطلبات البنتين»

«أهلى أولى بى»

* * *

(4)

أخى الأكبر دائم الشكوى من ضيق منزله... الآخر.. خاف على ابنه عندما رآنى أعلمه «الكوتشينة».. زوجة أخى الثالث خافت على نفسها من الفتنة.

* * *

(5)

خرجت سيدة من البيت المقابل .. تسكب مياه.. تناثر بعضها على جلبابه الحريرى قفز.. ابتسم.. ازدادت المرأة خجلا لأنها أدركت علمه بنوع المياه تذكر ليلته من كل شهر عندما يحجز لزوجته غرفة فى فندق متواضع ثم يستدعيها ليقضيا الليلة معا.. يطفئ فيها حرارة أشواقه ويعتذر بطريقة عملية عن عدم تواجده معها.. ويغوص معها لساعات فى مشكلات ابنتيه.

* * *

(6)

غدا سيتزوج أخى الأصغر.. غداً سأفقد هذه الحرية.. السهر حتى آذان الفجر على ترابيزتى المقدسة.. أعود إلى منزله.. أعطانى

مفتاحا خاصا بى.. أنام فى حجرة مستقلة حتى آذان العصر.. أجده مجهزا لى الطعام على الترابيزة.

* * *

(7)

بدأت قطرات الندى تزيد الجـو برودة.. اشــتــد به الملل.. لكنه مضطر لانتظار ابن عمه.. رفيقه على الترابيزة المقدسة.. لمح شبحا يترنح وسط الظلام.. «إنه هو».

نادى عليه.... سلم عليه ابن عمه حكى له ... لقد خسر كل ما فى جيبه.. هَمَّ يحكى عندما وصل إلى الجدل.. بتر كلماته.. طالبا منه أن يدخل.. فتح الباب بخفة شديدة.. دخل متنمسا حتى لاتستيقظ زوجته.. ارتعد عندما وجدها أمامه.. خيرته بينها وبين ترابيزة المقامرة وابن عمه العجوز.

* * *

(8)

قرر أن يمضى الليلة سائرا على الأقدام مستأنسا بنباح الكلاب...

حجرة المرايا

(أ)

فور دخولها شقتها تخففت من احتياجات المطبخ.. ألقت بحقيبة يدها فوق المائدة فى الصالة... فتحت حجرتها المفضلة بالمفتاح.. خلعت حذاءها فوق عتبة الحجرة.. دخلت فى خشوع،، الحجرة مظلمة كقبر عتيق.. حررت جسدها من كل ما يسجنه.. أصبح عارياً تماما إلا من هذا الوجه القبيح، عندما تضحك يبتلع فمها مساحة وجهها السفلية، أنفها الجبلى يفترش خديها العظميين، عيناها تبدوان كنقطتين من الحبر الأسود.. تضغط على عدة مفاتيح تتحول الحجرة إلى كتلة ضوء... الحجرة خالية من أى أثاث.. أرضيتها وحوائطها مغطاة بطبقة من الإسفنج سمكه ٣٠ سم فوقه سجادة ذات لون داكن، فوقها مرايا متلاصقة من الزجاج السميك جدا غير قابل للكسر إلا إذا تعمدت ذلك.. ارتفاع المرايا فوق الحوائط ٦٠و١ م ..

عندما تقف فى هذه الحجرة.. ترى جسدها يحاصرها من جميع الجهات.. تتأمل تفاصيله بدقة، بقداسة، هذا الوجه القبيح يحمله جسد يتسامى عن الوصف.. يمكنك أن تصفه بكل ألوان الوصف الجمالى التى تعرفها.. بلورى، لؤلؤى، ملائكى، متناسق، رشيق، إلى ذلك من الصفات التى تجعله فاتنا أقصى درجات الفتنة... تنثر عليه زجاجة عطر كاملة من النوع الفاخر.. ترقص .. تتقلب على صفحات

المرايا الشفافة عيناها تتلهفان على هذا الجسد المضىء فى جميع مرايا الحوائط .. تلامسه بحذر.. تحتضنه من فوق المرايا.. تقبله... وتبدأ تمارس معه.

(2)

تستيقظ فجراً.. تلف جسدها بطبقات من الإسفنج الرقيق.. تبدأ من الرقبة حتى تنتهى بمشط قدميها فيبدو جسدها كقالب واحد ليس به أية نتواءت.. ثم ترتدى قميصاً من فوقه بلوزة ذات رقبة.. فوقها بلوزة عادية منتهية بجيب ذات تلبيسة، فوقها جيب عادية.. فيبدو جسدها ضخما مثيراً للاشمئزاز ، تغلق الحجرة بالمفتاح، تأخذ حقيبتها، تخرج كى تركب سيارتها.

(3)

رغم أن هناك (مصعداً) إلا أنها تصمم على ترجل سلالم الطوابق السبعة حتى تصل إلى مقر الشركة.. تقلب بصرها بينهن، كانت تعى دائما مدلول الهمسات التى تدور بين زميلاتها «هى بتتكبر على ايه ده احنا بالنسبة لها ملكات جمال... ولا علشان عندها عربية وشقة كبيرة قاعدة فيها زى قرد قطع بعد موت أبوها السكير الشاذ».

«ده عمها هرب من فضايح أبوها.. وساب له المحافظة كلها...

وعايز يخلص منها بأى شكل !!..»

انضم إليهن رجل قصير نحيل فوق الأربعين

«بصراحة الشقة كبيرة والسيارة عجبانى.. لو اتجوزها فيكونوا من نصيبى».

« دى أكبر مننا بخمس سنين وابنى هيدخل المدرسة السنة الجاية».

تركهن.. وجلس على مكتبه المواجه لها..

« هى السبيل الوحيد للتخلص من معايرة زوجة أخى الأصغر ومصاريفى على أولادها.. سيجبرها عمها على الزواج منى فهو لا يريد أن يتحمل مسئوليتها».

تظل طيلة ساعات العمل منحنية على أكوام من الأوراق تدون فيها أرقاما بدقة ومهارة.. تنتقل بجدية بين المكاتب تتلفظ بألفاظ محدودة «العميل... الحساب... الكمبيوتر... المتوسط .. الميزانية» لا تبتسم لا تسمح لأحد أن يحتك بها.. أو حتى ملامسة يديها «المغطاة بالجونتى الصوفى» حتى فى الصيف.. تتجه اليه.. تبحث فى أوراقه.. تنصحه أن يكون دقيقا، يغتاظ .. يصمم على الزواج منها حتى ولو على سبيل الانتقام.. فهى أصغر منه بثلاث سنوات وأعلى منه بثلاث درجات.

(4)

لأول مـرة تصطحب رجـلا إلى شقـتـهـا.. بعـد قبـولهـا الزواج منه بإرادة عمـهـا القـهـرية، رفضت أن ترتدى فـسـتـان الزفـاف.. رفضت الاحـتـفـال بـأى شكل من الأشـكال.. أنبـهـر بحـجـم الشـقـة وأثاثـهـا الفـاخـر.. أدخلتـه حـجـرة النوم الجـديدة التى اشـتـرتها بالمهر، اقترب منها.. حـاول أن يضغط على يدها.. انتفضت.. تحجر وجهها.. حـاول أن يقنع نفسه بخجلها . تناوم.

«ربما إذا شعرت أننى نمت نامت بجوارى... أفعل ما أريده».

(5)

دخلت إلى حـجـرتـهـا.. بعـد مـا تأكـدت أنه نام.. نزعت مـلابسـهـا.. الأشـرطة الإسـفنجـية التى تحـيط بجـسـدهـا... بدأت تمارس طقوسـهـا الجـسدية.. تجـمـد فى شبـه غيبـوبة... كـأنه يراهـا لأول مـرة.... عندما رأته تداخلت قسمات وجهها فى غضب فازداد قبحاً..

«نسيت أن أغلق الحجرة... فلم أعد بمفردى».

أراد أن يخـتـرق هذا الجـسـد البلورى... ألقـتـه بكل قـوة ... ارتد إليـهـا بقـوة مضـاعـفـة.. قـالت فى تحد «لن تنالنى أبداً» ... تحـول إلى ثور هـائج.. أمـسك بالكرسى بدأ يهشم كل المرايا... أمسكت بقطعة مرآة مكسورة.. اخترقت بها تلافيف بطنه.

الفهرس

الشباك.. ٧
الصرخة.. ١٣
ليلة واحدة.. ٢١
صانعة الغربال.. ٢٧
جنون تحت الجلد ٣٣
العيون ٣٧
الحصير المقلى ٤٣
امرأة مفلسة ٤٩
امرأة من الثلج ٥٥
سيجارة ملفوفة ٥٩
خمس بنات ٦٧
جلباب شحاذ ٧٣
البرواز ٧٧
المقايضة ٨٣
الترابيزة المقدسة ٨٧
حجرة المرايا ٩١

رقم الإيداع : ٧٨٩٦ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)